سينما

«حكاية سليمان» المهاجر

إيقاع محموم يُحيط بالجوهريّ

فيلمٌ فرنسي جديد يتناول مسألة الهجرة بلغة سينمائية تروي قصة دراميّة مشوّقة وغنية بتفاصيل عن شخصية وجماعة ومدينة وناسها

باريس ـ **ندى الأزهري**

يجلس مُنتظراً دوره، مُحاولاً إخفاء بقعة دمٍ بقيت على طرف قميصه الأبيض. في الممرّ، وهو يتبع موظفة مكتب الهجرة واللاجئين، يسرد شريط الأحداث أياماً قليلة قبل هذا الموعد المصيري.

لوهلةٍ أولى، يبدو «حكاية سليمان» (2024)، للفرنسي بوريس لوجكين، يوميات مهاجر أفريقي في باريس. قصة أخرى من القصص المتزايدة للمهاجرين. لكنّ هذه البرودة في تلقٍّ أولي تتحوّل سريعاً، مع تحوّل السرد من يوميات معاناة شخص إلى قصة درامية مشوّقة، أقرب إلى الإثارة، وغنيّة بتفاصيل عن شخصية وجماعة، ومدينة وناسها، يحضر فيها الواقع بحدّه الأقصى، بما يعنيه من صُور مألوفة في العاصمة الفرنسية. أبطالها سُعاةٌ باتوا جزءاً من الحياة الباريسية. تجمّعات شباب أفارقة على درّاجاتهم المحمّلة بصناديق زرقاء أو صفراء، عازلة ومهيّأة لوجبات ساخنة، في طريقها إلى زبون منتظر.

في 90 دقيقة، يسير الفيلم على إيقاع محموم، ويحيط بالجوهريّ في واقع هؤلاء: كواليس عملهم وتعقيداته، علاقات بعضهم بالبعض الآخر ومع الأهل، نظرتهم إلى هذا البلد الجديد والغريب، أساليبهم في الحصول على اللجوء. وهذا بالتركيز على سليمان (آبو سنغار)، الذي ترك غينيا، حيث حياة فقيرة وأمّ مريضة وحبيبة شابة، للبحث عن عيش أفضل. في فرنسا، لا يحقّ له العمل قبل البتّ بأمره. لكنْ، بالتحايل، يلجأ إلى من يعطيه اسمه على تطبيق معدّ للطلبيات، مع استغلاله والنصب عليه. بين تفقّد هاتفه والعمل على درّاجته، يتجوّل سليمان في شوارع باريس لتسليم الوجبات. يحاول أنْ يكون مُهذّباً يحترم أصول التعامل، لكنّه يخرج عن طوره أحياناً رغماً عنه. يُوتّره سباق مع الزمن، وحاجة إلى الراحة، ولا سيما قبل يومين من موعد مقابلةٍ، ستُحدّد مصيره بالبقاء في فرنسا، أو بعدمه.

يومه يبدو كأنْ لا نهاية له. يسير على إيقاع مُنهك. يقود درّاجته بحيوية، نهاراً وليلاً، في إضاءة قوية بلونيها الأصفر الكئيب ليلاً، والأزرق المُشعّ نهاراً. سليمان شخص مكافح، لا دقيقة له لالتقاط أنفاسه. يركض. يقود بسرعة ليحصل على طلبيات أكثر. يتعرّض لمخاطر. يحاول حَلّ مشاكله مع الأوراق، ومع أسرته في غينيا، ومع أصحاب المطاعم والزبائن. لكنّ المشاكل تتراكم عليه. يسرقه مهاجرون آخرون. يعدّ نقوده القليلة. يضطر أحياناً إلى النوم في الخارج، بعد أنْ فاتته حافلة خاصة لنقل اللاجئين إلى مأوى ليليّ لهم. حافلة تحتشد فيها أجساد منهَكة لعمّال مثله، أمامهم ساعات قليلة قبل أنْ يبدأوا نهاراً محموماً آخر في مجتمع استهلاكي لا يرحم إنساناً في وضعهم، مُجرّداً من الأوراق والشهادات والانتماء. الكذب أفضل وسيلة للحصول على اللجوء السياسي. هكذا أقنعوه. أفريقي آخر يعطي دروساً مدفوعة لاختراع سِيَر حياة ساداها اضطهاد سياسي، تُردّد في مقابلات مكتب اللجوء. يُحذّر الأفريقيّ تلاميذه البؤساء من أنّ الموظفين يعلمون كلّ شيء، حتى الصُّور والكتابات على جدران السجون. إنّهم (الموظفين) باتوا يحفظون القصص بتفاصيلها، تلك التي تتردّد مع تنويعات طفيفة.

يضع «حكاية سليمان» شخصيته الرئيسية أمام معضلات أخلاقية عدّة: هل عليه التخلّي عن حبيبته لمصلحتها؟ هل عليه العودة إلى أمّه التي تفتقده؟ هل يكذب أمام اللجنة كما نُصح؟ كيف سيتعامل مع مستغلّيه؟ لا يترك الفيلم فرصة لملل أو ضجر من قصص مهاجرين تتكرّر. يهتمّ أيضاً، بلقطات سريعة وزوايا تصويرية جديدة، بأشياء أخرى. يُصوّر باريس بواقعها. وفي مدينة كهذه، تعجّ بالأصوات، لا يحاج إلى استخدام مؤثّرات أو موسيقى. تكفي أصوات المدينة: أبواق سيارات محتجّة بين حين وآخر. سيارات إسعاف وشرطة بزماميرها. حافلات. عربات أنفاق، تفتح أبوابها وتغلقها بوتيرةٍ لها نغمتها. محرّكات الدرّاجات النارية. أصوات التقطها مهندس الصوت مارك أوليفييه برولي بحساسية ودقّة، لتعبّر عن باريس، وعن أيّ مدينة كبيرة في الحياة المعاصرة.

تظهر باريس عبر نظرات غرباء لا يعرفون قواعدها. كلّ شرطيّ تهديدٌ، وكلّ زبون قد يكون معادياً، وكلّ تنقّل شاقّ وطويل. تُصوَّر المدينة بضواحيها الضخمة، ذات الأبنية العالية المتراصة التي يسكنها الفقراء، ومناطقها الراقية بأبنيتها الحجرية الأنيقة، وبمطاعمها ومكاتبها وعربات القطار السريع ومراكز الإيواء. هذا كلّه يظهر في لقطات عابرة، تبدي الحياة اليومية في المدينة. يهتمّ «حكاية سليمان»، ولو على عجلة، بإظهار الباريسيين العاملين في المكاتب وهم يتلقّون طلبيّات تُلتهم بسرعة في مكان العمل، أو العابرين الذين يصدمون المارة بسياراتهم (كما حصل لسليمان) ودرّاجاتهم. لا ينسى، مُبدياً فظاظة بعد إشارته إلى رفيق آخر وكياسته. ينغمر في عالم هؤلاء السعاة، ويتناول بعمق شخصية سليمان، بتردّده في الكلام، وبنشاطه وإصراره وكفاحه، ومحاولاته لأنْ يكون نزيهاً وهادئاً في بلد لا يعرفه، ومدينة لا يتاح للمرء التقاط أنفاسه فيها، فيكون عفوياً، كأنّه يردّد قصته الأصلية، هو الذي يُرفض طلبه باللجوء، ويعمل ميكانيكياً في المدينة الفرنسية «أميان».

هناك تعاطف مع سليمان، ومع المخرج بوريس لوجكين، خصوصاً في المشهد الأخير، وهو في مكتب اللجوء، يستمع إلى أسئلة الموظّفة المحنّكة. لكنّ تعاطف لوجكين لم يمنعه من تقديم وجوه عدّة لهؤلاء المهاجرين، فهم ليسوا ملائكة، رغم محاولات التبرير.

سليمان يروي حكاية هجرته إلى باريس: يوميات مُتعِبَة (الملف الصحافي)

معضلات أخلاقيّة يواجهها سليمان في مهجره الباريسيّ

هل سيتحوّل الخطاب إلى فعلٍ ميدانيّ؟

نديم جرجوره

نُهلِّل ليهوديّ/يهوديّة يهاجم إسرائيل. نفرح بقول له/لها يؤكّد المؤكّد: إسرائيل تُبيد الفلسطينيين والفلسطينيات، في غزّة وغيرها. نُدبّج مقالات تُعيد قولاً كهذا، فنحن بحاجة إلى دعم يُستَند إليه، وأهمّ دعم كهذا ينبثق من موقفٍ يهوديّ/يهوديّة، والأجمل والأقوى والأقدر على تأكيد المؤكّد يتمثّل بأنْ يكون اليهوديّ/اليهودية إسرائيلياً/إسرائيلية. السائد في العالم أنْ لا أحد «يسمع» صرخة غزّة وباقي فلسطين المحتلّة. لكنّ سينمائيين/سينمائيات في هوليوود وخارجها يُعلنون موقفاً، بكلامٍ أو زيٍّ أو حركةٍ. يريدون قولاً من منبر يوصل الكلمة إلى ملايين البشر. لكنْ، يندر أنْ يؤثّر قولٌ كهذا في هؤلاء البشر، فالغالبية الساحقة جاهلةٌ أو غير مبالية أو متشنّجة إزاء فلسطين، أو متعاطفةٌ مع المحتلّ، أو مدافعة عنه، وكلامٌ لسينمائيّ/سينمائية، مدّته دقائق قليلة، غير نافع لتلك الغالبية، بل غير مؤثّر البتّة بها. مُقتنِعٌ بأنّ كلام القلّة غير نافع وغير مؤثّر، رغم أهمية إعلان موقفٍ يواجهُ حرب الإبادة الإسرائيلية، التي تنهي قريباً عامها الأول (7 أكتوبر/تشرين الأول 2023). أشعر بأنّ حركةً كهذه في منابر سينمائية دولية نوعٌ من تكفير عن ذنب فرديّ إزاء جُرم، ينبذه هؤلاء من دون أنْ يملكوا حدّاً أدنى من إمكانية إيقافه أو منعه أو فضحه بغير كلام قليل. قلّة تكتفي بإعلاء صوت، من دون إكمال الإعلان بفعلٍ ميداني، رغم أنّ كلّ فعلٍ ميداني ضد حرب الإبادة الإسرائيلية يُخوِّن صانعه ويُنبَذ ويحارَب. الحاصل منذ الدورة الـ74 (15 ـ 25 فبراير/شباط 2024) لـ«مهرجان برلين السينمائي»، على الأقلّ، يؤكّد هذا: كلامٌ فيه حماسةٌ وواقع وقناعة، وكفى.

آخر فعلٍ كلامي يُقال في ختام الدورة الـ81 (28 أغسطس/آب ـ 7 سبتمبر/أيلول 2024) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي»: سارة فريدلاند مخرجةٌ أميركية تنتهز لحظة استلامها جائزة أفضل إخراج عن «لمسة مألوفة» (مسابقة «آفاق») لتُعلن رفضها تلك الحرب، مُشيرةً إلى أنّ «من مسؤوليتنا كعاملين في مجال السينما استخدام المنصّات المؤسّسية التي نعمل عبرها للتصدّي لإفلات إسرائيل من العقاب على الساحة العالمية». كلامٌ مهمّ، صادر عن فنانة سينمائية أميركية يهودية، كما تقول في بداية خطابها. لكنّ كلاماً كهذا يُفترض به أنْ يتحوّل إلى فعلٍ ميداني، بتضافر جهود فاعلين وفاعلات في السينما، وفي غيرها من الفنون. كلامٌ يجب ألا يبقى محصوراً في جملٍ تُلقى في منبر دولي. كلامٌ يُقبَل أكثر إنْ يجد أدوات فعلية تنفّذه.

فوزه بـ«أوسكار» أفضل فيلم أجنبي (النسخة الـ96، 11 مارس/آذار 2024) عن «منطقة الاهتمام» (2023) دافع لجوناثان غلايزر إلى رفع النبرة اليهودية إزاء الجُرم الإسرائيلي، لقلقٍ فيه من ربط اليهودية بالقتل والإبادة، ومن مصادرتها لحساب قتلة يُبيدون شعباً. يريد تحصين يهوديّته من أيّ استغلال إسرائيلي في حرب المحتلّ. هذا حسنٌ. لكنْ، في هذا شيءٌ ذاتي: إنّه دفاعٌ عن يهودية قائله، أكثر من كونه غضباً إزاء الجُرم الإسرائيلي. التساؤل مشروعٌ. السابق محاولةٌ نقاش، لن تحجب هول الإبادة المستمرّة على وقعٍ خطابات يهودية تناهض الجرم الإسرائيلي.

جوناثان غلايزر: قلقٌ على يهوديّته أمْ رفض صادق للإبادة الإسرائيلية؟ (لويك فينّس/فرانس برس)

أقوالهم

لستُ رسولاً. الجمهور ليس قاصراً لتلقّنه المعلومات. هناك مسائل ستؤوِّلُها أنتَ كما تشاء وسيقرأها غيرك كما يريد. ليس لي «قول فصل» في أي شيء. للأسف هذا لا يُقابَل بترحاب، فالغالبية تسأل عن «الرسالة». هذا مُحبِط. لكنّ الأمر واضح لي: أنا قلتُ ما أريد قوله في الفيلم، والآن حان دورك لتقول أنتَ ما تريد قوله.

أحمد فوزي صالح

غادرتُ بيروت في لحظة عدم قدرتي على العيش فيها، وعلى صنع سينما فيها. في صُلب السينما التي أنجزتها في فرنسا، هناك القلق اللبناني الذي يتطوّر. في البداية، نطرح على أنفسنا أسئلة الهوية والانتماء الثقافي. ثم يُصبح لدينا عيشٌ يوميٌّ في البلد الذي نُقيم فيه. عيشٌ يستدعي طرح أسئلة أخرى.

مارون بغدادي

خلّفت الحياة التي عشتها آثاراً عميقة فيّ، دفعتني إلى البحث عن السائد في تلك الحقبة، فحاولت التعبير عن المفقود. لعلّ قوة «أحلام المدينة» تكمن في تعبيره عن الواقع الحقيقي الذي كنا نعيشه في خمسينيات القرن الماضي، والتعبير عن الديمقراطية التي كانت سائدة.

محمد ملص

أفعالهم

Vermiglio لـ **مورا دِلْبيرو** (FilmMagic): في شتاء 1944، في قرية صغيرة في «ترينتينو»، شمالي إيطاليا، كانت الحرب العالمية الثانية منتشرة في كلّ مكان، لكنْ بعيداً عنها. عندما يصل جنديّ شابّ بحثاً عن ملجأ، تتغيّر ديناميكية عائلة مُدرّس المؤسّسة التعليمية المحلية كلّياً.

Happy Holidays لـ **إسكندر قبطي** (Getty): أربع شخصيات تُسلّط ضوءاً على تعقيداتٍ بين الجنسين، وبين الأجيال والثقافات. يواجِه الفلسطيني رامي تغييراً مفاجئاً في رأي صديقته اليهودية بشأن الإجهاض، وتعاني والدته حنان أزمة مالية، وتتورّط في مسائل في سعيها إلى الحصول على تعويض عن حادث ابنتها. تُضطرّ ميري إلى عيش اكتئاب ابنتها. تتصارع فيفي مع شعور بالذنب لإخفاء سر يهدّد سمعة عائلتها وعلاقتها الناشئة مع الدكتور وليد.

Mon Inseparable لـ **آن . صوفي بالّي** (Getty): تعيش منى مع ابنها جويل. يعمل في بيئة متخصصة، ويحبّ زميلته أوسيان، التي تعاني إعاقة مثله. لا تعرف منى شيئاً عن هذه العلاقة، لكنّها تعلم فجأة أنّ أوسيان حامل.

أخبار

◆ أعلن «مهرجان الجونة السينمائي» اختياره أفلاماً عدّة ستُعرض في أقسام الدورة السابعة، التي تُقام بين 24 أكتوبر/ تشرين الأول و1 نوفمبر/ تشرين الثاني 2024: «تتنوّع (الأفلام) بين روائي ووثائقي، وتمثّل بعض أفضل ما قدّمته السينما العالمية في العام الحالي». بذلك، يبدأ المهرجان الإعلان التدريجي عن أفلام تلك الدورة، ومنها: «المادة» لكورالي فارجاه، و«الموسيقى التصويرية للانقلاب» ليوهان غريمونبريز، و«غريب» لشونغفان يانغ، و«الفتيات يبقين فتيات» لشوتشي تالاتي، و«سام» لسولي بليوفايت، وغيرها.

◆ تصدّر «بيتلجوس بيتلجوس» لتيم بورتون قائمة أكثر الأفلام العالمية تحقيقاً للأرباح، إذْ بلغت إيراداته في التاسع من سبتمبر/ أيلول 2024 ستة ملايين و21 ألف دولار أميركي، علماً أنّ إيراداته تبلغ، منذ بدء عروضه التجارية في 28 أغسطس/ آب الماضي، 110 ملايين دولار أميركي، وفقاً لشركة «إكزبيتر ريليشنز». ويعود «بيتلجوس بيتلجوس» بعد 36 عاماً على صدور جزئه الأول عام 1988. يُذكر أنّ مايكل كيتن يؤدّي دور طارد الأرواح الشرير، وأنّ وينونا رايدر وكاثرين أوهارا تمثّلان فيه.

◆ قبل أيام عدّة، بدأ تصوير «الست» لمروان حامد، عن حياة أم كلثوم، المستند إلى نصٍّ لأحمد مراد، مع منى زكي وعمرو سعد ونيلي كريم وأحمد حلمي وغيرهم. وبحسب معلومات صحافية مختلفة، ذكر مراد أنّ الفيلم يتضمّن «تفاصيل كثيرة عن حياة أم كلثوم، تُكشف للمرّة الأولى». أضاف أنّه أجرى بحثاً مُعمّقاً عن شخصية الستّ، وعثر على أسرار كثيرة، وقال: «عندما قرأتُ عنها، عرفت أنّها بئر مليء بأسرار تُثير مخاوف، وأنّها (ست) غير تلك التي شاهدناها وعرفناها».

◆ في السادس من سبتمبر/ أيلول 2024، مرّت ذكرى مرور مائة عام على ولادة الممثل المصري فؤاد المهندس، «وسط تجاهل رسمي وإعلامي مصري يكاد يكون تاماً لتاريخ الرجل»، كما جاء في مقالةٍ للناقد أشرف غريب، تساءل في مقدّمتها عما إذا كنا «نحن أمة بلا ذاكرة»، وعما إذا كان قد «غيّبها ركام السنين وأنهكتها النوات والرياح؟».